

النشاط الثماني في الغرب

موجة ((الرواية الجديدة))

فرنسا

Editions de Minuit

تتعهد ((منشورات منتصف الليل)) . لونا خصا من الرواية يطلق عليه اليوم اسم ((الرواية الجديدة)) ، ويشارك في انتاجها بعض الادباء الشباب من الذين لهم نظرية خاصة في الكتابة ورؤية خاصة للعالم . وبرز هؤلاء الروائيين الين روب غرييه



كلود سيمون الين - روب غرييه

◇◇◇◇◇

وصموئيل بيكيت وناتالي ساروت ، وميشال بوتور ، وروبير بينجيه وكلود سيمون . ولا شك في ان مدير هذه المنشورات ، جيروم ليندون ، قد ساعد كثيرا على تشجيع هذا الجيل ونشر انتاجه ، بالرغم من ان رواج كتبه محدود وان مايعود به لايعتبر من قبيل الريح .

والواقع ان ليندون يهتم بالغ الاهتمام بمادة الكتاب ومضمونه ، وهذا ما جعله يقدم على نشر كتابين هامين لك ((الجلادون)) (1) و ((الفنرنا)) اللذين صودرا فور نشرهما ، ذلك انه اراد ان يدافع ، حين نشرهما ، عن حرية التعبير التي هي في رايه ((علامة الحضارة)) .

ويجمع النقاد الفرنسيون بعد ذلك على ان هذه الكتب ، واكثرها روائي ، تتميز بميزات خاصة هي التي جعلها مدرسة قائمة بذاتها ، واولى هذه الميزات انها روايات ((صعبة)) بالاجمال : صعبة في اسلوبها المخالف للمألوف من طرق الكتابة الروائية ، وصعبة الفهم لدى القراء . وقد التقى كلود سيمون ، احد رواد هذه المدرسة (٢) محاضرة هامة على مدرج السوربون منذ اسبوعين ، شرح فيها مفهومه للرواية ، وبدأها بالاشارة الى انه عانى كثيرا اذ فكر في الموضوع ((لاني لا اهتم بالفكر وليس في رأسي افكار .)) وذكر انه قرأ كل ماكتبه جان بول سارتر عن الكتابة والرواية ومفهوم الادب ، فوجد انه يخالفه في رايه الى ابعد الحدود ، وياخذ عليه انه يريد ان يقيم الرواية والبحث الادبي على عبارة ((المعنى)) وان عمل الاديب يتجه قبل كل شيء الى المعنى والمغزى . والمعنى ، في رأي كلود سيمون ، تفسير للاشياء يريد ان يثبت ان للعالم معنى ، في حين انه يرى ، كغفان ، ان العالم لا يستطيع ان يكون له معنى : ((ويخيل الي ان العالم اذا كان يعني شيئا ، فهو انه يعني لاشيء !))

ولا يوافق كلود سيمون على ان يكون الادب مفيدا ، وان يخدم شيئا ، اي الثورة ، ويقول منتقدا ذلك : ((لنستعرض ماحدث ! في عام 1٩٤٥

(1) نشرته دار الاداب في السنة الماضية ، ترجمة عابدة وسهيل ادريس

(2) اخر رواية له « طريق الفلاندر » .

انتهت الحرب ، وكان في البرلمان الفرنسي اكثرية يسارية مطلقة ، واخذ سارتر وكامو يكتبان عن ((معانيهما)) ليكونا ((مفيدين)) لطبقة العمال . . فماذا نجد بعد خمسة عشر عاما من ذلك ؟ سلطة تنزلق الى الديكتاتورية وحروب استعمارية ، وعهد من التفهق الاجتماعي . .) ويقول كلود سيمون بعد ذلك ((الحق ان الفن لاينتظر من الحياة الا الحياة نفسها ، ولا يبحث عن مكافاته الا في ممارسة ذاته . والفن بطبيعته ((اناني)) وغير اجتماعي اي انه يسخر من تكبير راحة الناس او مساعدتهم على الارتقاء بانفسهم وهو لا اخلاقي بتمجيده للحب !))

ويستشهد المحاضر ((بدمام بوفاري)) لفلوبير ، وهو يرى انه ليس دراسة اخلاقية عن الزنى ، وانما هو تعبير عن طريقة خاصة وفريدة لان يكون المرء ((حسيا ، في العالم ، وان يدركه بحس لم يكن يملكه الا غوستاف فلوبير الذي يقول ((ان مدام بوفاري هي انا)) .

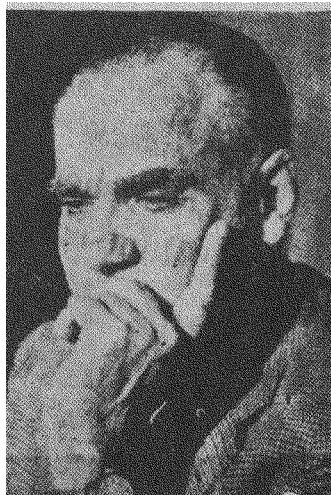
وعلى ذلك يكون دور الفنان الوحيد ، وحظه الوحيد بان يجد مادة الواقع ((المشتركة والخالدة)) ، ((ليس بان يعطي للاحداث معناها ، وانما يعبر عن وزنها ولحمها وعطرها .)) ويقول كلود سيمون : ((انني احب كل شيء ، امرأة ، وحصى ، ونبته عشب . .)) والسؤال الذي يطرحه الكاتب على نفسه حين يكتب ليس هو ((لماذا اكتب ؟)) وليس هو سؤال سارتر ((ان اكتب ؟)) (وهو في رأي الكاتب سؤال بحر العقم . .) وانما يتساءل عن ((كيف الاشياء)) - كيف هي ، لا كيف تحدث .

اما الين روب غرييه ، مؤلف ((المهاجي)) و ((الرائي)) و ((اللبيرنت)) و ((الغيرة)) - وهذه اخر رواية صدرت له - فليست له آراء مخالفة لزميله كلود سيمون ، وقد كتب مرة يقول : ((الكاتب هو من ليس لديه شيء يقوله ، ولا ادري لماذا لم يرق هذا التعريف كثيرا للناس . . .)) ولعل بالامكان القول ان موجة ((الرواية الجديدة)) هي بعث لنظرية ((الفن للفن)) التي كان الجيل الماضي من الادباء يظن انه قد دفنها الى الابسد . . .

((سام)) مورافيا

ابطالينا

بعد ثلاثين عاما من صدور رواية البرنو مورافيا الاولى ((اللامبالون)) ، يعود الكاتب الايطالي الكبير الى تحليل مرض الازمنة الحديثة الذي يكمن في استحالة اقامة علاقة مع الاشياء والآخرين والذات ، هذا المرض الذي حلله سارتر في ((الفتيان)) وكامو في ((الغريب)) ، وحلله مورافيا الان في رواية جديدة صدرت اخيرا في روما بعنوان ((السام)) La noia



دينو رسام فاشل ، ولكن اخفاقه فنه ليس الا نتيجة ثانوية لفقد حس الواقع . اما الاساس فيكفي طبعنا لنزع اي قيمة ميتافيزيقية ((للسام)) . فام دينو غنية جدا ، وعبثا ما رفض هباتها واكتسفى بالعيش الاسن في

مرسمه المتواضع ، فقد كان يعلم جيدا ان المرء حين يكون غنيا ، يظلم غنيا ولو عاش عيشة الفقراء . والمؤلف يصف تأثير المال على حس الواقع وعلى حب الابن لأمه ، ويحلل لاجدوى هذه الادوية المصطنعة ، ولجوء

النشاط الثقافي في الغرب

دينو الى قسوة سادية نحو سيسيليا ، عشيقته ، وبعد مئة وخمسين صفحة تنطف الرواية انعطافا مفاجئا ، فيكتشف دينو ان سيسيليا تخدعه ، فاذا بسامه يتركه . والجديد في الموضوع هو وصف تطور الشهوة الجنسية وصفا مدمرا . فليس بين دينو وسيسيليا حب ، فهي تنتقل من رجل الى اخر باسمه غامضة ، ودينو انما يتعلق باللذة الجسمية ولا يهمه شيء اخر . فالكلمة المفتاح ليست هي اذن « السام » وانما « التملك » . وليس المرض هو الشعور بالعشية، وانما استحالة التملك . فدينو يفهم انها لا تخصه ، ولن تخصه ابدا . ويحدث له حادث اصطدام ينقذه من البلاهة . وحين يتمدد في سريره بالمستشفى يتأمل شجرة ويدرك بصفاء عذب انه يفصل نهائيا عن سيسيليا .

وقد اثارت هذه الرواية ضجة كبيرة في الاوساط الادبية بايطاليا واعتبرها بعض النقاد من اجمل ما كتب مورافيا ، وان كان البعض الآخر اخلا عليها ماخذ كثيرة منها ان واقعتها مجانية في اكثر من موضع .

الاتحاد السوفياتي « نهر الدون الامن »

يقر مؤرخو الادب السوفياتي الحديث ان رواية « نهر الدون الامن » (1) ليخايل شولوخوف هي من اروع آثار الانتاج الروسي المعاصر ، ان لم تكن اروعها على الاطلاق . وحين تذكر هذه الرواية بذكر في مقابلها « الدكتور جيفاجو » لباسترنالك الذي اتم مع شولوخوف الحوار الذي بدأ بين تولستوي وستوبفسكي ، والذي يقسم روسيا الى معسكرين غير قابلين للانسجام ، معسكر الواقعية ، ومعسكر المفامرة . ولا فائدة من الاشارة الى اوجه الشبه بين « الدون الامن » و « الحرب والسلام »: كثرة الاشخاص والاحداث وتداخل الحياة العامة بالحياة الخاصة ، واتساع رقعة الاوصاف وصراحتها .. ولكن المفيد ان يتساءل القارئ بعد ان وصف شولوخوف تغيرات الشعب الروسي بين 1912 و 1922 ، لماذا لم يختر العاصمة كمرکز للثورة ، كما فعل تولستوي ، بل اختار قرية تانارسكي القوزاقية الممتدة على ضفاف الدون ؟ الواقع ان القوزاق كانوا دائما ينعمون باستقلال ذاتي جعل القياصرة يقرون لهم ببعض الامتيازات . فقد كانوا معادين للسلطة المركزية ايا كانت هذه السلطات ، وقد بدأوا بمعارضة حكومة لينين ، وقد وجد معاكسو الثورة خلفاء فيهم ، وهنا يبدو ما اغرى شولوخوف : احداث القريسة الصغيرة المتمردة على البولشفيك ، هذه الاحداث التي تعكس وترمز الى العقبات التي كان من اهداف الثورة ان تزيلها ..

وتصف « الدون الامن » الموقف المتردد الغامض الذي يقفه جزء من الشعب الروسي اثناء السنوات الحرجة ، لاسيما وان شولوخوف اتخذ كبطل له رجلا متقسما ومتوزعا . والواقع ان غريغوري ميليخوف يختصر في شخصه تناقضات قريته وطبقته . وهو ابن فلاح متوسط . والجزء الاول مخصص كله تقريبا لقصة الحب الذي يربطه قبيل الحرب باكسينيا ، امرأة جاره الجميلة المتهمة . حب كلي نقى يشبت ان غريغوري ليس من طبنة عامة - فهو لا يخشى النفاس ولا الفضيحة - ولكنه يظهر ايضا جنون طاقة تتاكل نفسها بصورة عابثة ، على هامش القوانين المدنية والاخلاقية (تحطم بيت اكسينيا ، واضطرابها الى مفارقة قريتها والعمل كخادمة في بيت مجاور ، اما الولد الذي رزقته من غريغوري فيموت) وموهبة شولوخوف الكبيرة تكمن في انه استطاع ان يصور في وقت واحد جمال عاطفة « رومانتيكية » وبؤسها . ومفهوم ان المؤلف اذ ينتقد الرومانتيكية ، انما يقصد اشكال الثورة التي تخفي

(1) رواية في ثمانية اجزاء ترجمت الى الفرنسية وصدر منها حتى الان اربعة اجزاء .

هيجانا عقيما تحت قناع الاستقلال .

صحيح ان غريغوري يعشق اكسينيا عشقا جنونيا ، ولكن حين تطلب منه ان يهرب معها، يكون رد فعله شديدا . «انا اترك قريتي وارضي ؟ انك حقيا بلهاء !» انه متمطش للحربة ولكنه يخضع لرغبة ابيه بان يزوجه ابنة فلاح ثري ، ناتاليا كوروشونوف التي لا يحبها . وهو يستمع الى الدعائين الحمر ، والى كارانجا الذي ينزع منه جميع افكاره القديمة عن القيصر والوطن وواجبه كقوزاقي ، والسى بودتيولوكوف الذي يعرض له ضرورة اقامة سلطة شعبية ، ولكنه يحسس بالعجز في اختيار طريقه



شولوخوف

وينتهي به الامر الى الانحياز للبيض . وبالامكان رسم صورة مزدوجة ليليخوف ، الاولى ايجابية تماما (فهو صاحب شخصية ، وهو حرس وشجاع ومفتح الفكر) والثانية سلبية تماما (فلاح محدود ، وعاشق اناني وطموح وقدر ...) وبالرغم من انه يتفوق على مستوى متوسط الفلاحين بميزانه الخاصة ، فهو يضع نفسه بطريقة استعمال هذه الميزات . ولكن الخطأ يعود الى غريغوري بقدر ما يعود الى النظام الفردي والفوضوي الذي كان قائما في القرى قبل الثورة . فليست الغرائز السيئة هي التي تستطيع فقط ان تنتشر فيها ، ولكن الاشخاص الشرفاء القادرين لا يجدون الا اعمالا لا يرضون عنها . فسوء النظام يحول اشخاص النخبة الى اشباه « هملت » مزققين بقدر ما هم هدامون . وهكذا يكون الانسان ، خارج الاشتراكية ، ذنبا بالنسبة للانسان . ذلك هو المنطق الذي لا هوادة فيها والذي هو اساس رواية « الدون الامن » . ومع ذلك ، فليست هي رواية « فكرة » ، ان غريغوري الذي خدع زوجته وساء الى شرف عشيقته ، وانتقل من الحمر الى البيض ، وفر من قريته حين اكتسحته الثورة اخيرا وانهى حياته في اللصوصية ، يحتفظ حتى النهاية بسماته المحببة . « ماذا تريدون ، انه هو نفسه لا يستطيع ان يحب نفسه اكثر من مرة في العام . » ولئن لم ينس شولوخوف انه كاتب سوفياتي (فقط سقط غريغوري اخيرا ، ولم يكن في سقوطه ما يشير حوله اي عطف ، في حين تعود الكرامة والفار الى القرية التي تتحالف مع الشيوعية) . فانه يحافظ محافظة شديدة على ميزاته كفتان . ان لجميع البولشفيك الذين يصورهم سمات سلبية، ولعل اصالة شولوخوف الرئيسية ، اذا ما قورن بغوركي (رواية الام) او فادييف (الهزيمة) تكمن في انه يشعر القارئ بنبل المثل الاشتراكي، لا من خلال اعمال او حزبين متحمسين يكونون مجرد ابواق للمؤلف فلا يحملون الاقناع الكافي ، وانما بواسطة التصوير الدقيق المتنوع لالوان الصراع التي يشرها الانقلاب الروسي في قلب فلاح لم ينل اية تربية سياسية - وان ينتهي شولوخوف الى جعل ميليخوف يسقط ، ذلك عمل روائي عظيم . ذلك ان هزيمة انسان موهوب جدا تدل على قيمة الثمن الذي كان على الشيوعية ان تدفعه للنصر . ان القارئ بعيد عن روايات الكشافين السوفياتيين ، التي ينجح فيها حزبون كادحون ذوو عيون زرقاء بافراغ روسيا من الخونة .. على العكس من ذلك، فان القارئ لا يجد لدى شولوخوف قصة عاطفية مزيفة ولا تشاؤما عقيما ، وانما رؤية صافية للتفسيرات التي يجب ادخالها على الارياف حتى لا تكون السعادة فيها بعد خداعا ، ولا اليأس قدرا ..

سواء كانت رواية « الدون الامن » سياسية او اقليمية ، فانها اثر متزن ، كامل ، نموذجي .